**المحاضرة الرابعة**

**علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى :**

تشترك العلوم الإنسانية في عنايتها باللغة بوصفها أهم مظاهر السلوك الإنساني و وسيلة الاتصال المكونة للجماعة الإنسانية .

فمن هذه العلوم التي ترتبط بعلم اللغة ارتباطاً و ثيقاً : علم الاجتماع الذي يدرس اللغة على أنها من أهم مقومات المجتمع البشري ، ومنها علم النفس الذي يدرس بصفة عامة اللغة و علاقتها بالعقل الإنساني ، و منها علم الجغرافية الذي استفاد منه اللغويون في عمل الأطالس اللغوية ، ومنها علم التاريخ الذي انتفع منه اللغويون في متابعة الظواهر اللغوية و ما يطرأ عليها من تغير في العصور المختلفة ؛ ونتيجة لعلاقة هذه العلوم بعلم اللغة نشأ ما يعرف بـ : ( علم اللغة الاجتماعي ، و علم اللغة النفسي ، و علم اللغة الجغرافي ، وعلم اللغة التاريخي )

**1ــ علم اللغة الاجتماعي :**

يمكن تعريف علم اللغة الاجتماعي بأنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع . ولابد من الإشارة إلى أن اللغة لا تحيا إلا في ظل مجتمع إنساني ، فاللغة إذن نشاط اجتماعي لأنها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً ، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالاً شديداً بالعلوم الاجتماعية و أصبح قسم من بحوثه يُدرّس في علم الاجتماع فنشأ لذلك فرع منه يسمى بـ ( علم اللغة الاجتماعي ) يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة و الحياة الاجتماعية و أثر تلك الحياة الاجتماعية ، في الظواهر اللغوية المختلفة .

وقد التفت اللغويون إلى مثل هذه البحوث بعد أن رأوا الدراسات التي تقوم بها المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها ( دور كايم ) في أوائل القرن العشرين ، و انضم إليها كثير من علماء اللغة في فرنسا و ألمانيا و انكلترا و سويسرا والدانيمارك ، و كثير من أساتذة الجامعات في أوربا و أمريكا .

و لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ، وهي أداة للتعبير عما يدور في المجتمع ، فهي تسجل لنا في دقة و وضوح الصور المختلفة المتعددة الوجوه لهذا المجتمع ، من حضارة ونظم و عقائد و اتجاهات فكرية و ثقافية و علمية و فنية و اقتصادية و غير ذلك ؛ لذا فهي تتأثر بكل هذه الظواهر الاجتماعية تأثراً كبيراً ، فهي بدوية في المجتمع البدوي غير المتحضر ، و لذلك نجدها فيه محدودة الألفاظ والتراكيب والخيال ، ليست مرنة و لا تتسع لكثير من فنون القول .

أما إذا كانت اللغة في متحضر فهي متحضرة الألفاظ مطردة القواعد يسيرة في نطقها خفيفة الوقع على السمع . في حين نجد اللغة في المجتمع البدائي كثيرة المفردات فيما يتعلق بالأشياء المحسوسة و الأمور الجزئية ، قليلة الألفاظ التي تدل على المعاني الكلية . وكثيراً ما تخلو مدلولات الكلمات في هذا المجتمع البدائي ، من الدقة ، و يكثر فيها اللبس و الإبهام ، وهي في الغالب لا تعبر إلا عن ضرورات الحياة اليومية ، و لذلك كانت جملها قصيرة و روابطها قليلة ، و لايزال قسم من هذه اللغات البدائية يعتمد حتى الآن اعتماداً كبيراً على الإشارات اليدوية لإعطاء المعنى المقصود من الألفاظ التي ينطقونها ، إلى درجة أن الاهالي يوقدون النار ليلاً لكي يتمكنوا من فهم ما يقال ؛ لأن الإشارات التي تصحب الكلام تكمل الناقص من المفردات و تحدد مدلول الكلمات . فاللغة إذن تعكس أثر التفاوت بين طبقات المجتمع . و كثيراً ما يؤدي التفاوت بين طبقات المجتمع إالى نشوء لغات سرية عامية ، هي بنوع خاص لغة الاشقياء و الخارجين عن القانون ممن يعيشون في خوف دائم من سطوته ؛ لأنهم يحيون حياة على هامش المجتمع .

ولا شك في أن التغير الاجتماعي في بيئة من البيئات يتبعه تغير في شيء من اللغة المستعملة في تلك البيئة . فثورة الرابع عشر من تموز 1958 أدت إلى تغير في النظام الاجتماعي تبعه اختفاء كلمات مثل : صاحب الجلالة ، سمو الأمير صاحب السعادة ، و بالمقابل شاعت ألفاظ مثل : الثورة ، الانتهازية ، و الاشتراكية ، و التقدمية و غير ذلك .

ولا بد من الإشارة إلى أن علم اللغة الاجتماعي من أكثر المجالات التي أحرزت تقدما ً سريعاً في الدراسات اللغوية الحديثة ، وهو يُعنى بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ، و يدرس الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع ، والطرائق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة والتعريف بماهية هذه الوظائف .

**2 ــ علم اللغة النفسي :**

ترجع العلاقة بين علم اللغة و علم النفس إلى طبيعة اللغة إذ إنها أحد مظاهر السلوك الإنساني فإذا كان علم النفس يُعنى بدراسة السلوك الإنساني عموماً فإن دراسة السلوك اللغوي تعد أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس و قد رأى بعض العلماء أن الدراسة اللغوية إذا لم تقم على دراسة القوى النفسية الكامنة وراءها فهي غير مكتملة و كذلك الدراسة النفسية عليها أن تستعين بمعطيات علم اللغة ، ومن ثم حدث الامتزاج بين علمي اللغة والنفس مما نتج عنه نشوء ( علم اللغة النفسي ) .

و لا بد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين بحث اللغويين و بحث علماء النفس في قضايا اللغة . فعلم اللغة يعتني بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث و أثناء مرورها في الهواء و عند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها . و معنى هذا أن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة لا تدخل في إطار علم اللغة .

والعلاقة بين الجهاز العصبي و الجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللغوي ، فاللغويون يعتنون باللغة عند صدورها ، ولا يعتنون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك ، فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس . وعندما تصل اللغة إلى الجهاز السمعي للمتلقي و يقوم بنقلها إلى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية أخرى يبحثها علم النفس ، أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث و تمضي في شكل موجات صوتية فتصل إلى المتلقي فهي اللغة ، وهي مجال البحث في علم اللغة .

وقد أفاد علماء النفس في السنوات الأخيرة من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي ، و لكن هذا لا يمنع من تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين . فمجال الدراسة النفسية للغة هو كيفية تحويل المتحدث للاستجابة

الى رموز لغوية وهذه عملية عقلية تتم عند الانسان وينتج عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة .

وعندما تصل اللغة إلى المتلقي ويقوم بفك هذه الرموز اللغوية في العقل إلى المعنى المراد تتم عملية عقلية أخرى تدخل في إطار علم النفس أيضاً أما تلك الرموز الصوتية التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء إلى المتلقي فهي مجال البحث في علم اللغة .

و يُعنى علم اللغة النفسي بالأمور التي تتناول العلاقة بين اللغة و العقل الإنساني مثل : اكتساب اللغة و إدراك الكلام ، و طبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير ، و علاقة اللغة بالشخصية ، و وظيفة اللغة في حالة الصمم ، و دراسة عيوب الكلام .

**3 ــ علم اللغة الجغرافي :**

نتحدث هنا عن صلة علم اللغة بعلم آخر هو ( علم الجغرافية ) فقد اقتبس علم اللغة ، منذ أكثر من نصف قرن مضى ، طرائق علم الجغرافية ليضع حدوداً لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة و تفرق بين لهجة و أخرى ، و لا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافية ، إلا في أن ما يبدو عليها ظواهر لغوية ، تطلع القاري ء على أدق الفروق في الأصوات والمفردات بين اللغات المختلفة ، واللهجات المتباينة .

و تطلعنا هذه الخرائط على الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة فقوم يجهرون أصواتاً و قوم يهمسونها ، و طائفة تنطق الفتحة صريحة ، و أخرى تنطقها ممالة ، و لهجة تنبر المقطع الأول من الكلمة و أخرى تنبر المقطع الأخير منها ، ويبرز كذلك في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات من حيث البنية والمترادفات المختلفة للمعنى الواحد و اختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية ، و مقدار انتشار الكلمات في الأقطار و الأقاليم وغير ذلك ، مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي للغة من اللغات ، سواء أكانت لغات فصحى أم مشتركة أم خاصة ، أم لهجات اجتماعية ، أم اقليمية أم عاميات خاصة .

تعد هذه الدراسة الجغرافية اللغوية من أحدث و سائل البحث في علم اللغة و لها وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث ؛ لأنها تسجل الواقع اللغوي للغات أو اللهجات على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام ، و تختص كل خريطة بكلمة أو بظاهرة صوتية معينة ، يبدو فيها الاتفاق أو الاختلاف بين المناطق اللغوية المتعددة . من هنا تظهر أهمية هذا العلم في مجال الدراسات اللغوية .

**4 ــ علم اللغة التاريخي :**

اللغة كائن حي يعرض له ما يعرض لكل مخلوق من البشر والحيوانات و النبات . تعرو اللغة أعراض القوة و الضعف ، و يصيبها التغير و التطور ، وتمر بمراحل من الانبعاث و الاندثار ، و لذلك تتصل دراستها بدراسة التاريخ ، إن علم اللغة ــ شأن سواه من العلوم الاجتماعية ــ علم تاريخي على نحو ما . فاللغة التي هي موضوعه لا غنى في تطورها و صلتها بالمجتمعات ، و في دراسة انقسامها إلى لهجات ، و دراسة ظهور اللغات العامية ، لا غنى في دراسة ذلك كله و سواه عن الاستعانة بمعلومات من التاريخ .